إبراهيم عليه السلام في العهد المكي في ضوء التحليل النصي والمصادر التاريخية
دراسة نقدية مقارنة لشبهات المستشرقين والرد عليها: "بَتْشَبَعَ كارسيال" أنموذجاً

عبد الكريم علي عبد الله القيسي عمر ياسين نده المعاضيدي
مركز أعالي الفرات لأبحاث التنمية المستدامة/ جامعة الأنبار
Omar_y76@uoanbar.edu.iq karemalqaisi@uoanbar.edu.iq

تاريخ استلام البحث: 2025/10/19 تاريخ قبول النشر: 2026/1/26 تاريخ نشر البحث: 2026 /5/26

المستخلص:

يهدف هذا البحث إلى تقديم ردٍّ منهجي متكامل لما طرحته الباحثة الإسرائيلية "بَتْشَبَعَ كارسيال" التي تدعي غياب ذكر النبي إبراهيم عليه السلام عن القرآن المكي، وتُرجِع الربط بين الإسلام والملة الإبراهيمية إلى تطور سياسي مدني متأخر.

يعتمد البحث على منهجية ثلاثية الأبعاد: (نقد نصي، وإحصائي، وتاريخي مقارن) لتفكيك الشبهة في إطارها التنقيحي الأوسع، ويكشف عن خلل كارسيال المنهجي الجذري المتمثل في ازدواجية المعايير عبر: رفضها المصادر الإسلامية، مع قبولها لمصادر يهودية متمثلة بالمقرا (التوراة) والمدراش المتأخر والمشكوك في نقله.

ويدحض البحث هذا الادعاء بأدلة حاسمة تشمل: الإحصاء النصي المكثف، والحضور السُّوَري البارز (سورة إبراهيم)، والشواهد التاريخية على الوعي الإبراهيمي المكي قبل الإسلام، والاستقلالية المقارنة عن السرد اليهودي.

وتخلُص الدراسة إلى إثبات أصالة الحضور الإبراهيمي في الخطاب المكي حقيقة نصية وتاريخية، وأن (ملة إبراهيم حنيفاً) مفهوم عقدي تأسيسي وليس شعاراً سياسياً، زيادة على أنها تكشف أن شبهة كارسيال تنبع من تحيّز منهجي بنيوي يُفقِدُها الأمانة العلمية.

الكلمات الدالة: النبي إبراهيم، القرآن المكي، بَتْشَبَعَ، الاستشراق، المقرا، المدراش، الحنيفية.

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

Abraham in the Meccan Era in Light of Textual Analysis and Historical Sources: A Comparative Critical Study of Orientalist Misconceptions and Their Refutation: "Bathsheba Karsiel" as a Model

Abdel Kreem Ali Abdulla Al-Kaisi Omar Yaseen Nida
Upper Euphrates Center for Sustainable Development Research/ University of Anbar

Abstract

This research provides a methodological rebuttal to Israeli scholar Bathsheba Karsiel's thesis claiming Prophet Abraham's absence from the Meccan Quran and alleging the Abrahamic-Islamic link was a later political development.

Using a textual, statistical, and comparative historical analysis, it exposes Karsiel's methodological double standards: rejecting Islamic sources while accepting problematic late Jewish sources (Miqra/Midrash).

The refutation employs four decisive proofs: 1) Statistical density of Abraham's mention in Meccan surahs 2) The Meccan surah "Ibrahim" 3) Historical evidence of pre-Islamic Abrahamic consciousness in Mecca and 4) The Quranic narrative's independence from Jewish traditions.

The study confirms the authentic Abrahamic presence in Meccan revelation as textual-historical fact and establishes "Abraham's upright creed" as foundational theology in addition to revealing Karsiel's thesis as structurally biased and academically invalid.

Key words: Prophet Abraham, the Meccan Qur'an, Bathsheba, Orientalism, Al-Muqra, Midrash, Hanifism.

المقدمة:

يُعدُّ نبي الله إبراهيم عليه السلام ذا مكانة محورية في البنية العقدية للإسلام، إذ يُعرّف الإسلام في جوهره كما في قوله تعالى:﴿ملة إبراهيم حنيفاً﴾[آل عمران:آية:95]، وهذه المركزية ليست مجرد إضافة تاريخية، بل هي أساس التوحيد الذي جاء به النبي محمد(ص)، والجسر الواصل بين الرسالة الخاتمة والرسالات السماوية السابقة، مما يجعل الدفاع عن أصالة هذا الربط دفاعاً عن جوهر الهوية الإسلامية ذاتها.

وفي سياق الحوار الفكري المعاصر، تبرز بعض الأصوات التي تسعى لإعادة قراءة هذا الربط التاريخي والعقدي، ومن أبرزها ما يصدر عن باحثين في الدراسات اليهودية المعاصرة. وفي قلب هذا الجدل، تأتي دراسة الباحثة الإسرائيلية "بَثْشَبَعَ كارسيال" في كتابها "المقرا والمدراش والقرآن" لتقدم مثالاً بارزاً على منهجٍ يحاول إعادة بناء تاريخ النص القرآني بالاعتماد بشكل حصري تقريباً على مصادر يهودية، وتحديداً على نصوص العهد القديم (المقرا) والتفسيرات الحاخامية المتأخرة (المدراشيم).

وتتمحور الشبهة الجوهرية التي تثيرها كارسيال والتي تتوافق مع توجهات "المدرسة التنقيحية" المتطرفة في الدراسات الإسلامية حول ادعاء "غياب اسم النبي إبراهيم(عليه السلام) عن القرآن المكي". وهذا الادعاء، لو ثبتَ لَهَدَمَ الأساس التاريخي للربط المبكر بين الإسلام والشرائع التوحيدية، وأظهر القرآن بوصفه نتاج بيئة محلية

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

تطورت مفاهيمها لاحقاً، بل تذهب كارسيال إلى أن الربط بين الإسلام والملة الإبراهيمية لم يكن إلا تطوراً سياسياً وفكرياً حدث في المرحلة المدنية.

يهدف هذا البحث إلى فحص هذه الفرضية وتحليل أسسها المنهجية ومصادرها التي اعتمدت عليها، للوقوف على مدى صحتها من الناحية النصية والتاريخية. كما تهدف هذه الدراسة المشتركة إلى تقديم هذا الرد المتكامل عبر مقاربة مزدوجة فريدة؛ فبينما يقدم الباحث الأول تحليلاً نقدياً للإطار النظري للمدرسة التنقيحية بالمراجعات النقدية العربية الرصينة، يقدم الباحث الثاني تحليلاً نصياً داخلياً مباشراً لكتاب كارسيال، مستفيداً من خبرته الفريدة في ترجمة النص الأصلي والتعليق عليه نقدياً.

إن هذه المقاربة تتيح تفكيك الشبهة من زاويتين متكاملتين: زاوية النقد الأكاديمي الخارجي للخلفية المنهجية الفاسدة التي تنطلق منها كارسيال، وزاوية النقد الداخلي التي تكشف مواطن الخلل والتناقض في المصادر اليهودية ذاتها التي يستند إليها كتابها قيد البحث.

ولتحقيق هذا الهدف، اعتمد البحث على منهجية ثلاثية الأبعاد، تجمع بين التحليل النقدي والنقض المنهجي، والاستقراء الإحصائي الدقيق لحضور نبي الله (إبراهيم) عليه السلام نصياً، والتتبع التاريخي المقارن لحضوره فكريا في البيئة المكية قبل البعثة، سعياً لتقديم حجة شاملة تثبت أن الحضور الإبراهيمي في الخطاب القرآني المكي حقيقة نصية وتاريخية راسخة، وأن مفهوم "ملة إبراهيم حنيفاً" هو مفهوم عقدي تأسيسي، وليس اختراعاً سياسياً متأخراً، مما يكشف في النهاية أن شبهة كارسيال ما هي إلا تجلٍّ لتحيز منهجي بنيوي، وليس خطأً في فهم وتدبر الآيات.

أهداف البحث: يهدف البحث إلى:

1. عرض الشبهة التي أثارتها "بَثْشَبَعَ كارسيال" وتحليلها، ثم تفكيك الأسس المنهجية التي قامت عليها بتحليل نصي مباشر لكتابها المترجم.
2. نقد الإطار الفكري والنظري لـــ"المدرسة التنقيحية" التي تنتمي إليها كارسيال، بالاعتماد على الدراسات النقدية العربية للمنهج الاستشراقي.
3. إجراء دراسة إحصائية تحليلية دقيقة لورود اسم إبراهيم عليه السلام والمفاهيم المرتبطة بملّته (الحنيفية والإسلام) في السور المكية.
4. تفنيد الشبهة بالأدلة القرآنية النصية المباشرة، والأدلة التاريخية والأدبية المستمدة من عصر ما قبل الإسلام، والمقارنة النقدية مع السرديات التوراتية ذاتها.
5. الاستفادة من ترجمة كتاب كارسيال والتعليقات النقدية المصاحبة لها والتي أنجزها الباحث الثاني للكشف عن مواطن التحيز والخلل في المصادر اليهودية (المقرا والمدراش) التي استندت إليها الكاتبة.
6. الخلوص إلى إثبات الأصالة العقدية والزمنية لمفهوم" ملة إبراهيم الحنيفية "بوصفه خطاباً مكياً مبكراً وجوهرياً، استهدف بالدرجة الأولى تصحيح الانحراف العقدي لقريش وتأسيس التوحيد الخالص.

انطلاقاً من هذه الأهداف، يركز البحث على الإجابة عن السؤال المحوري التالي: إلى أي مدى يمكن إثبات أصالة الحضور الإبراهيمي في الخطاب القرآني المكي، وتفنيد شبهة كارسيال القائمة على منهجية المدرسة

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

التنقيحية، بمقاربة نقدية نصية وتاريخية متكاملة؟ ويتفرع عن هذا السؤال الرئيس أسئلة فرعية تتعلق بكثافة الورود النصي، والسياق التاريخي المكي، واستقلالية السرد القرآني.

منهجية البحث: يعتمد البحث على منهجية متداخلة ومتكاملة، تجمع بين ثلاثة مناهج رئيسة تتفاعل فيما بينها لتحقيق أهدافه:

1. **المنهج التحليلي النقدي:** يستعمل على مستويين:
- **مستوى تحليل النص:** لفحص بنية شبهة "كارسيال" وتفكيك حججها.
- **مستوى نقد المنهج:** لنقد الإطار النظري والمنهجي لـــ"المدرسة التنقيحية" التي تمثلها الباحثة، وكشف مواطن الخلل والازدواجية فيه.
2. **المنهج الاستقرائي الإحصائي:** لرصد وتصنيف ورود اسم النبي إبراهيم عليه السلام والمصطلحات الأساسية المرتبطة بملّته كـــ"الحنيف"، "المسلم"، "ملة إبراهيم" في السور المكية، وتحليل تواترها ومواضعها لإثبات الحضور النصي الكثيف.
3. **المنهج التاريخي المقارن:** ويعمل على مسارين متوازيين:
- **المقارنة النصية:** لمقابلة السردية القرآنية عن إبراهيم عليه السلام بالسرديات الأخرى، وخاصة المرويات التوراتية (المقرا) والتفسيرات اليهودية (المدراش)، للكشف عن الاستقلالية القرآنية.
- **التتبع التاريخي:** لجمع وتحليل الشواهد التاريخية والأدبية(من نقوش وشعر وروايات) الدالة على مكانة إبراهيم عليه السلام وذكراه في البيئة الجاهلية لمكة والجزيرة العربية قبل البعثة النبوية.

الدراسات السابقة والفجوة البحثية:

استأثرت شخصية النبي إبراهيم عليه السلام، وحضوره في الخطاب القرآني، باهتمام بالغ في التراث الإسلامي قديماً وحديثاً، سواء في مجال التفسير(كابن كثير والسيوطي) أو في الدراسات التحليلية المعاصرة ك(سيد قطب في "في ظلال القرآن"، ومحمد عبد الله دراز في "النبأ العظيم").

وعلى صعيد نقد الخطاب الاستشراقي، وخاصة "المدرسة التنقيحية، فقد قدّم الباحثون العرب مباحث نقدية رصينة كشفت عن الخلل المنهجي في أسسها، كما في أعمال محمد أبو زهرة(مذاهب فكرية معاصرة)، وأبي الحسن الندوي (مقدمات في الدراسة الإسلامية)، وسفر الحوالي في سلسلة محاضراته وكتاباته عن هذه المدرسة.

وبعد ترجمة كتاب "بَتْشَبَعَ كارسيال"(المقرا والمدراش والقرآن) إلى العربية، ظهرت بعض الكتابات والردود التي تعاملت مع شبهاته، إلا أنها غالباً ما جاءت على شكل **ردود مباشرة مقتضبة تهدف إلى تسليط الضوء على تلك الشبهات**، لتُفتح أمام الباحثين ليأخذوا دورهم في الرد عليها.

وبالوقوف على هذه الخريطة المعرفية، تتجلى الفجوة البحثية التي يسعى هذا البحث لسدها، والمتمثلة في غياب دراسة أكاديمية واحدة متكاملة تجمع بين المناهج الثلاثة في آنٍ واحد.

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

المبحث الأول/السياق الفكري للمدرسة التنقيحية والدراسات القرآنية الإسرائيلية

أولا: الأسس النظرية للمدرسة التنقيحية عبر النقد العربي: لا يمكن فهم شبهة بَتْشَبَعَ كارسيال بمعزل عن السياق الفكري الذي أنتجها، وهو ما يُعرف في الأوساط الأكاديمية بـــ"المدرسة التنقيحية (Revisionist School) "لقد قام الباحثون العرب بتفكيك الأسس النظرية لهذه المدرسة التي تتبنى فرضية جذرية مفادها أن المصادر الإسلامية التقليدية (القرآن، الحديث، السيرة) ليست سجلاً تاريخياً موثوقاً للأحداث كما وقعت، بل هي نتاج" تأليف لاهوتي متأخر "تشكل بعد قرن أو أكثر من بداية الإسلام.

ويلخص عبد الرحمن بدوي في نقده اللاذع لهذه المدرسة، إذ إن منهجها "يقوم على رفض المصادر الإسلامية جملة وتفصيلاً، والاعتماد على شذرات من مصادر أجنبية متناثرة ومتأخرة، متجاهلين بذلك الكم الهائل من الأدلة الداخلية وعلم الإسناد الذي حافظ على هذه المصادر"[1،ص23-24].

ويتماشى هذا الموقف مع ما يُعرف في الدراسات الدينية المقارنة بـــ"تاريخ الخلاص" (Heilsgeschichte)، وهو منهج يحاول قراءة النصوص المقدسة كتعبير عن تطور إيمان الجماعة وليس كوحي تاريخي مباشر، وقد تابع هذا النهج باحثون مثل جون وانسبرو الذي طبق مناهج نقد النصوص (Textual Criticism)على القرآن، لكن هذه المحاولات لم تصمد أمام النقد العلمي العربي.

يقول محمد حسين الصغير: "إن فرضية وانسبرو القائلة بتكوّن النص القرآني عبر قرن من التطور اللاهوتي داخل جماعة إسلامية غير محددة، تتعارض مع الأدلة المادية القاطعة، والمتمثلة في المخطوطات القرآنية المبكرة التي تؤكد ثبات النص منذ العصر النبوي، ناهيك عن تناقضها مع البنية اللغوية والمعجزة البيانية للقرآن التي تشهد بوحدانيته المصدرية"[2،ص189].

وأن التشكيك بالدور الاقتصادي لمكة، الذي تبنته باتريشيا كرون في أطروحتها عن تجارة مكة، يرد عليه المؤرخ جواد علي بأدلة تاريخية وجغرافية عديدة، مؤكداً أن:" مكة، بموقعها على طريق القوافل بين اليمن والشام، كانت محطة تجارية حيوية ومركزاً دينياً مهماً، وقد استفادت قريش من هذا الموقع لبناء شبكة اقتصادية واجتماعية وسياسية واسعة، وهو ما يفسر مكانتها القبلية وقدرتها على تنظيم الحياة حول البيت الحرام"[3، ج4/ص6-8]، وهذا ينسف أحد الأسس المادية التي حاولت المدرسة التنقيحية بناء افتراضاتها عليها، ويؤكد أن السياق المكي كان قادراً على احتضان دعوة عالمية.

ثانياً: الاستشراق والتحيز المنهجي: يمر فهم هذه الشبهات عبر فهم الإطار الفكري الأوسع الذي أنتجها، وهو الاستشراق؛ لقد قدم إدوارد سعيد في كتابه المؤسس "الاستشراق" تحليلاً دقيقاً لهذه البنية المعرفية، مظهراً أنها أسلوب للهيمنة، قائمٌ على علاقة قوة غير متكافئة بين الغرب والشرق[4،ص45-46]، فرأى أن المعرفة الاستشراقية ليست محايدة، وإنما هي أداة لإنتاج "الشرق" موضوعا للدراسة والتحكم، مما ينتج عنه صور نمطية واختزالية.

وتكمن خطورة هذا المنهج الهيمني في كونه لا يكتفي بوصف "الشرق" بل يسهم في تشكيله وصناعته وفق رؤية استعمارية، كما يؤكد سعيد أن: "الاستشراق لم يكن مجرد وصف للشرق، بل كان جزءاً من عملية

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

إدارة الشرق والسيطرة عليه وإعادة بنائه"[4،ص199]. ويحصل هذا التشكيل بآليات معرفية دقيقة، منها اختيار ما يُدرس وكيف يُدرس، وتحديد "المشاكل" التي يستحق الشرق بحثها من وجهة نظر الغرب.

والمدرسة التنقيحية، برغم ادعاءاتها "العلمية الموضوعية"، هي تجلٍ حديث لهذه البنية الهيمنية، خيث تسعى للسيطرة على السردية التاريخية للإسلام بتفكيك الرواية الإسلامية الذاتية وإعادة بنائها وفق نموذج يخدم رؤية خارجية، إنها تمارس ما يمكن تسميته بـــ"هيمنة معرفية"، ترفض حق الإسلام في تفسير ذاته وتاريخه، وتفرض عليه تفسيراً من خارج سياقه الحضاري.

ويُعد التحيز المنهجي أبرز تجليات هذه الهيمنة، ويلاحظ عبد العظيم المطعني أن المنهج الاستشراقي "يتسم بازدواجية المعايير، فيقبل من المصادر الغربية ما لا يقبله من المصادر الشرقية، ويرفض الرواية الإسلامية لمجرد أنها رواية ذاتية، بينما يقبل روايات أطراف أخرى معادية أو غريبة" [5،ص287–288]. وهذا الازدواج هو عين ما تمارسه المدرسة التنقيحية في تعاملها مع المصادر.

يتجلى هذا المنحى الهيمني بوضوح في الاستشراق الإسرائيلي المعاصر، الذي يركز على الدراسات القرآنية، فكما يلاحظ محمد الزيني، "ميل الدراسات القرآنية في الجامعات الغربية، وخاصة الإسرائيلية منها، إلى محاولة فصل القرآن عن سياقه العربي، وربطه بالتراث اليهودي، وذلك لإضعاف استقلاليته والتشكيك في مصدريته العربية"[6،ص283–284] ومن ثم، فإن شبهة كارسيال حول غياب إبراهيم المكي لا تنفصل عن هذا الإطار الهيمني، الذي يهدف في أحد جوانبه إلى قطع الصلة بين الإسلام وإرثه الإبراهيمي العربي، وإعادة ربطه بشكل حصري بإطار يهودي، خدمة لأغراض أيديولوجية معاصرة.

ثالثاً: المدرسة التنقيحية وتجلياتها: كتاب كارسيال نموذجاً: تأتي دراسة الباحثة الإسرائيلية بَتْشَبَعَ كارسيال في كتابها "المقرا والمدراش والقرآن" الذي ترجمه وعلق عليه عمر ياسين نده بعنوان" القصص القرآني في ميزان الاستشراق الإسرائيلي، تطبيقا نموذجيا لهذا المنهج التنقيحي، فهي تبدأ من فرضية أن القرآن "مجموعة خطب ومواعظ دُمجت فيها مقاطع من مواضيع قصص المقرا والمدراشيم التابعة له"[7،ص7–8]، وتمثل هذه الفرضية تطبيقاً عملياً لفكرة "التأليف اللاهوتي المتأخر" التي تنادي بها المدرسة التنقيحية، إذ تصوّر القرآن وفقاً لكارسيال على أنه نسيج مركب من عناصر يهودية أعيدت صياغتها في سياق عربي لاحق.

وتنطلق كارسيال من هذه الفرضية لتقدم قراءة تطورية لمكانة إبراهيم عليه السلام في القرآن، فتدعي أنه "خلال الفترة المكية كان إبراهيم نبيًا عاديًا، وعادة ما يظهر مع قائمة طويلة من الأنبياء والرسل... لكن بعد الهجرة، عندما تنازع محمد مع يهود المدينة وقطع صلاته بهم تحول إبراهيم ليكون أهم شخصية دينية قديمة للإسلام"[7،ص 138].

ينسجم هذا الادعاء بالتحول والتطور مع المنظور التنقيحي الذي يرفض الثبات في النص القرآني ويفسره نتيجة لتفاعلات سياسية واجتماعية لاحقة.

وتفسر كارسيال–أيضاً– ظهور مصطلحَي" مسلم وحنيف" في السياق المكي على أنهما أدوات لاهوتية جديدة ابتكرها النبي محمد ﷺ لفصل دينه عن اليهودية لاحقاً، وترى أن غموض هوية الذبيح في سورة الصافات (مكية) كان"تكتيكاً سياسياً" متعمداً لتجنب إثارة حفيظة اليهود أو العرب[7،ص148–158].

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

رابعاً: نقد المترجم المتخصص: تفكيك التحيز من الداخل: يقدم المترجم المتخصص في مقدمته النقدية للترجمة رداً منهجياً حاسماً من الداخل، لا على مستوى الادعاءات فحسب، بل على مستوى المصادر ذاتها التي تستند إليها كارسيال. فيوجه المترجم، بصفته متخصصاً في الدراسات اليهودية والعبرية، نقداً أساسياً يُفكك مقارنة كارسيال من أساسها، إذ قال: إن المقرا (العهد القديم)، "الذي فُقِدَ الكثير من نصوصه وتبدلت كلماته عبر قرون التدوين الطويلة التي تفصل بين نزوله وتدوينه، وهو أمر واضح في تناقضاته العديدة التي تغلب عليه، بل إن هناك فجوات زمنية كبيرة بين النص المنسوب إلى موسى عليه السلام وتدوينه النهائي"[7،ص7].

المدراش: "وهذه مجموعة الفصول كتب أغلبها بعد نزول القرآن الكريم بقرون، مما يجعل فرضية تأثر القرآن بها واهية، بل العكس هو المحتمل، وهذه قرينة أكبر على أن المدراشيم هي من تأثرت بالقرآن الكريم وليس العكس، خاصة في بعض القصص المشتركة التي تظهر فيها الرواية القرآنية أكثر انضباطاً ووضوحاً"[7،ص8].

وهذا النقد الجوهري، الصادر من خبير في النصوص اليهودية نفسها، يهدم الأساس الذي بنت عليه كارسيال مقارنتها، ويكشف عن ازدواجية المعايير في منهج المدرسة التنقيحية التي تنتمي إليها الباحثة، فهي ترفض المصادر الإسلامية (القرآن والسنة والسيرة) بحجة التأخر الزمني أو الطابع اللاهوتي، بينما تقبل وتؤسس طروحاتها على مصادر يهودية منها (المقرا والمدراش)، وهي في الحقيقة أكثر تأخراً في التدوين، وأقل ضبطاً في النقل، وأكثر وضوحاً في الطابع اللاهوتي التفسيري والانتحالي.

ويكشف المترجم عن الغاية المعرفية النقدية من ترجمته فيقول" :إن الغاية من ترجمة هذا الكتاب، مجرّد نقله من اللغة العبرية إلى العربية، قد لا يؤدي إلى ما كُلِّفنا به من واجب الدفاع عن الدين وتبليغه، لذا رأينا أن التحقيق العلمي والموضوعية البحثية تقتضيان الرد على بعض ما أثارته الكاتبة من شبهات، وتبيان مواطن الخلل في منهجها ومصادرها"[7،ص10].

يجعل هذا الموقف من الترجمة نفسها أداة تفكيكية داخلية لأطروحة الخصم، فلا تقتصر على نقل النص فحسب، بل تتجاوزه إلى كشف تناقضاته الداخلية وإشكالاته المنهجية، مما يُحوِّل العمل من مجرد ترجمة إلى مشروع نقدي متكامل.

خلاصة المبحث الأول: لقد أثبت هذا المبحث أن شبهة كارسيال ليست مجرد رأي أكاديمي منفرد، بل هي نتاج طبيعي لـــ"المدرسة التنقيحية" التي تقوم على أسس منهجية مختلة. وقد تم تفكيك هذه الأسس بنقد مزدوج: خارجي عبر مراجعات العلماء العرب التي كشفت عن طابعها الهيمني وتحيزها، وداخلي عبر نقد المترجم المتخصص الذي أظهر ازدواجية معاييرها الصارخة في قبول مصادر يهودية متأخرة ومشكوك فيها بينما ترفض المصادر الإسلامية الأقدم والأوثق. وبذلك، يكون هذا المبحث قد هدم القاعدة المنهجية التي تقوم عليها طروحات كارسيال قبل الخوض في تفنيد محتواها.

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

المبحث الثاني/ الحضور الإبراهيمي في القرآن المكي

إن الرد الأول والأكثر حسماً على شبهة "غياب إبراهيم" عليه السلام التي تدعيها كارسيال هو التماس "الواقع النصي" للقرآن الكريم نفسه، فهذا الواقع يشكل برهاناً قاطعاً لا يحتمل التأويل ولا التأجيل، فعند التمحيص الدقيق في ترتيب نزول السور وفق منهجية علمية رصينة اعتمدها أئمة التفسير وعلماء النزول، تتجلى حقيقة مذهلة: إن اسم نبي الله إبراهيم عليه السلام وقصصه وأخباره ومفاهيم ملته قد توزعت بكثافة ملفتة ووضوح بائن عبر السور المكية، مما ينسف الفرضية الأساسية لكارسيال من أساسها ويقوض دعائم طروحاتها من جذورها.

أولاً: الحضور الإحصائي دليلا أوليا على وفرة النصوص الداحضة: تمتاز "السور المكية بذكر قصص الأنبياء، وخاصة إبراهيم وموسى ونوح عليهم السلام لأغراض تثبيت النبي ﷺ وتسلية المؤمنين وتذكير المشركين بمصير الأمم السابقة"[8،ج1/ص56؛9،ج1/ص163]، وقد ورد اسم إبراهيم عليه السلام في القرآن الكريم تسعاً وستين مرة، وهو بذلك يحتل المرتبة الثانية بين الأنبياء في كثافة ذِكرِه بعد موسى عليه السلام، والمدهش حقاً أن الغالبية الساحقة من هذه المرات التي تفوق خمسين مرة جاءت في سور مكية بالإجماع، مما يُحوِّل الإحصاء من مجرد رقم عددي إلى دليل كمِّي مباشر وحاسم على بطلان فرضية الغياب التي افترضتها كارسيال.

ففي سورة الأنعام المكية بالإجماع، وهي من السور المتوسطة التي نزلت بعد اكتمال نواة الدعوة، ورد اسم إبراهيم عليه السلام في ثماني آيات كريمات تشكل لوحة متكاملة لعقيدته ومنهجه، منها آية المحاججة والبراءة من الشرك في قوله تعالى:﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾[الأنعام:74].

وآية الحجة العقلية والمنطق التوحيدي، في قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ﴾[الأنعام:83]، وختاماً آية الحنيفية والاستقامة التي تجعل من ملة إبراهيم منهجاً للإسلام، في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[الأنعام:161]. وهذا التنوع الموضوعي داخل سورة واحدة يدل على أن حضور إبراهيم عليه السلام في الخطاب المكي لم يكن عشوائياً ولا هامشياً.

وفي سورة مريم المكية التي نزلت في فترة اشتداد الأذى على المسلمين ورد اسم إبراهيم عليه السلام في أربع آيات تحمل معانيَ التثبيت والتسلي، منها آية الوصف النبوي الجامع في قوله تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ ۚ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا﴾[مريم:41] التي تقدمه كنموذج للصدق النبوي، وآية الدعاء والمناجاة التي توثق صلة العبد بربه: "رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ"[مريم:48]. وهنا نلحظ كيف يستحضر الخطاب المكي شخصية إبراهيم في أحلك الظروف ليكون قدوة في الصبر والثبات.

أما سورة الأنبياء المكية وهي من السور التي نزلت في مرحلة المواجهة الفكرية مع المشركين فقد خصصت ثلاث آيات كريمات لشخصية إبراهيم، تناولت محاججة المشركين في قوله تعالى:﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ﴾[الأنبياء:51]، ثم قصة تحطيم الأصنام التي تمثل الذروة في الصراع مع الوثنية في قوله تعالى: ﴿فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ﴾[الأنبياء:58]، وهذا التوظيف الجدلي لإبراهيم عليه السلام في السور المكية ينفي تماماً فكرة كونه مجرد "نبي عادي" كما زعمت كارسيال.

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

ويتعدى الأمر إلى السور المكية المبكرة جداً، ففي سورة الذاريات التي تعد من أوائل ما نزل من القرآن ورد اسم إبراهيم عليه السلام في ثلاث آيات في مشهد استقبال الضيوف(الملائكة) والبشارة بإسحاق، في قوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ﴾[الذاريات:24]. وهذا يدل على أن قصة نبي الله إبراهيم عليه السلام ومفاهيم ملته كانت جزءاً أصيلاً من الخطاب القرآني منذ لحظاته الأولى.

وهذا الحضور الكثيف والمبكر والمتنوع الموضوعات الذي يمتد من أوائل السور نزولاً إلى أواخر العهد المكي كما يلاحظ في الجدول أدناه ينسف تماماً فرضية الغياب أو الهامشية التي افترضتها كارسيال، خاصة أن السور المكية كما يذكر الإمام السيوطي تتميز بطابع خاص في تناول قصص الأنبياء، إذ قال: "إن السور المكية قد امتازت بذكر قصص الأنبياء، وخاصة إبراهيم وموسى ونوح عليهم السلام، لأغراض تثبيت فؤاد النبي ﷺ وتسلية المؤمنين وتذكير المشركين بمصير الأمم السابقة، وذلك من حكم التنزيل البالغة" [8،ج1/ص56]، فإبراهيم عليه السلام في الخطاب المكي لم يكن اسماً عابراً، بل كان نموذجاً حياً للتوحيد، وسلاحاً جدلياً في مواجهة الشرك، ومصدر تثبيت للقلوب المؤمنة.

جدول توزيع ذكر إبراهيم عليه السلام في السور المكية الرئيسية

السورة	عدد مرات الذكر	الآيات	طبيعة الذكر
سورة الأنعام – مكية	8 مرات	74، 75، 79، 83، 161، 163	محاجة الشرك – الحنيفية – البراءة من المشركين
سورة مريم– مكية	4 مرات	41، 46، 48، 58	الصديقية النبوية – الدعاء والمناجاة
سورة الأنبياء– مكية	3 مرات	51، 60، 69	محاجة قومه – تحطيم الأصنام
سورة الصافات– مكية	5 مرات	83، 99، 100، 104، 109	قصة الذبيح – السلام على إبراهيم
سورة الذاريات– مكية	3 مرات	24، 28، 31	ضيف إبراهيم – بشارة الذرية
سورة هود– مكية	4 مرات	69، 71، 74، 76	ضيوف إبراهيم – دعوته لقومه
سورة إبراهيم– مكية	3 مرات	35، 37، 40	دعاء إبراهيم لمكة – رفع القواعد
سورة البقرة– مدنية	6 مرات	124، 125، 126، 127، 130، 135	مقام إبراهيم – رفع القواعد مع إسماعيل

تحليل الجدول:

- إجمالي ذكر إبراهيم عليه السلام في القرآن: (69) مرة.
- النسبة في السور المكية: أكثر من 50 مرة (أي أكثر من 72%).
- توزيع زمني: يمتد من السور المكية المبكرة (الذاريات) إلى المتأخرة.
- تنوع موضوعي: يشمل العقيدة (التوحيد)، الأخلاق (الصبر)، التشريع (القواعد)، الجدل (المحاججة).

ثانياً: سورة "إبراهيم" (مكية) دليلا قاطعا: لعل الدليل الأقوى الذي لا يدع مجالاً للشك على بطلان شبهة كارسيال هو وجود سورة كاملة باسم "إبراهيم" عليه السلام، وهي سورة مكية بالإجماع كما أجمع على ذلك المفسرون وعلماء أسباب النزول، وقد نزلت هذه السورة، كما يذكر العلماء،" لتثبيت النبي ﷺ وأصحابه، وبيان أن دينهم هو امتداد لدين إبراهيم عليه السلام، ورداً على مزاعم المشركين بأن محمداً جاء بدين جديد" [9،ج1/ص162].

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

تمثل سورة إبراهيم موضوعاً غنياً للدراسة القرآنية، حتى إنها شغلت حيزاً كبيراً في الأبحاث الأكاديمية المعاصرة، ومن ذلك رسالة ماجستير بعنوان "سورة إبراهيم: دراسة تحليلية موضوعية" تتبعت المنهج الحواري في السورة وأساليب الخطاب الموجه لأهل مكة، وأثبتت كيف أن السورة تقدم إبراهيم نموذجاً للداعية الذي يواجه مجتمعه بالحكمة والموعظة الحسنة.

وتتميز قصة نبي الله إبراهيم في هذه السورة كما في عموم القرآن المكي بإيجاز معجز يحمل دلالات عميقة، ففي آيات قليلة تُرسَم شخصية كاملة، تقدم نموذجاً حياً للتوحيد الخالص والصبر على الأذى، وهذا من الإعجاز البياني الذي يتناسب مع طبيعة الخطاب المكي الموجَّه إلى المشركين"[10،ص19].

وتحلل السورة العلاقة الجدلية بين مفهومي "النعمة" و"الكفران" التي ترد في مطلعها في قوله تعالى:﴿الر ۚ كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾[إبراهيم:1]، وتنتهي بقصة إبراهيم عليه السلام التي تمثل النموذج العملي لهذا الإخراج من ظلمات الشرك إلى نور التوحيد، مما يشكل وحدة موضوعية متماسكة تخدم أهداف الدعوة المكية.

وتكمن قوة الدليل في أن هذه السورة المكية تضمنت دعاء إبراهيم الشهير المتعلق بمكة وأهلها مباشرة، في قوله تعالى: ﴿رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾[إبراهيم:35]، وهذا الدعاء كما يفسره الإمام القرطبي: يشير صراحة إلى مكة، حيث يقول كما جاء في قوله تعالى: ﴿رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا آمِنًا﴾ [البقرة: 125]، أي مكة. وهذا من أوثق الدلائل على فضل مكة، لأنها مسكن إبراهيم الخليل عليه السلام"[11، ج2/ ص117؛12، ج4/ص440].

ويتجلى الإعجاز التنظيمي في السورة بتقديمها لدعاء إبراهيم عليه السلام بعد عرض سلسلة من أدلة التوحيد ومواقف الأمم السابقة، فيأتي الدعاء خاتمة طبيعية لهذا البناء المحكم، وكأن السورة تقول لأهل مكة: إن إبراهيم الذي تدعون انتسابكم إليه قد دعا لهذا البلد بالأمن والتوحيد، فلماذا تخالفون دعوته وتناقضون ملته؟

وهذا الدعاء الإبراهيمي المكي يؤكد على أمور جوهرية تتعارض كلياً مع طروحات كارسيال:

1-الربط المباشر والواضح بين نبي الله إبراهيم ومكة في الوحي المكي قبل أي احتكاك سياسي بيهود المدينة، مما ينفي زعم كارسيال أن الربط الإبراهيمي كان تطوراً مدنياً لاحقاً.

2- تصدير قضية مكافحة عبادة الأصنام، وهي القضية المركزية للدعوة المكية على لسان إبراهيم نفسه، مما يجعل من ملة إبراهيم الإطار العقدي الطبيعي لمواجهة شرك قريش.

3- تأسيس مفهومي الأمن والتوحيد كجوهر متلازم لرسالة إبراهيم عليه السلام التي جاء الإسلام ليجددها في مكة، إذ لا أمن بلا توحيد، ولا توحيد بدون أمن.

ثالثاً: أصالة مصطلح "الإسلام" و"المسلمين" في الخطاب المكي: تدحض الأدلة النصية القرآنية ادعاء كارسيال أن مصطلح "مسلم" هو ابتكار مدني متأخر لفصل الدين الجديد عن اليهودية، ويشير "عمر النده" في تعليقه على ادعاءات كارسيال إلى أن "مصطلح الإسلام والمسلمين ليس مصطلحاً طارئاً في الخطاب القرآني، بل هو صفة لازمة لكل من انقاد لأمر الله تعالى منذ أول الرسالات"[7،ص45].

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

ويتجلى هذا بوضوح في القرآن المكي، فقد ورد المصطلح مرتبطاً بعدة أنبياء قبل إبراهيم عليه السلام، مما ينفي كونه شعاراً سياسياً متأخراً:

أولاً: في سورة يونس المكية، يصرّح نبي الله نوح عليه السلام في قوله تعالى:﴿أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [يونس:72]، وهذا أقوى دليل على أن "المسلم" صفة لكل نبي منقاد لأمر ربه.

ثانياً: في سورة الذاريات المكية (من أوائل ما نزل من القرآن الكريم)، يُوصَفُ قوم لوط المؤمنون بأنهم (مسلمون) في قوله تعالى: ﴿فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الذاريات:36]، مما يؤكد أن المصطلح كان مستعملاً في السياق المكي لوصف أتباع الأنبياء السابقين.

ثالثاً: وهو الأهم، أن نبي الله إبراهيم نفسه وصف في سورة البقرة في آياتها المكية في قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا﴾[14،ج3/ص274-275]، وهذه الآية وإن كانت في سورة مدنية إلا أن مضمونها يؤكد استمرارية المصطلح وارتباطه بملة إبراهيم، وقد جاء عند ابن عطية في تفسيره [14،ج1/ص215] لقوله تعالى: ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ "لما نزلت الآية قال أهل الملل: "قد أسلمنا قبلك، ونحن المسلمون" فقال الله له: فحجهم يا محمد، ونزل قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ﴾ [آل عمران:97] الآية فَحَجَ المسلمون وقعد الكفار ثم تمم الله ذلك بقوله: "وما كان من المشركين"، فأبطلت دعاوى المبطلين.

أما في قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [آل عمران:67] يفيد الاستدراك بعد نفي الضد حصراً لحال إبراهيم عليه السلام، فيما يوافق أصول الإسلام، وهنا جاء لفظ "حنيفاً" مبيَّناً بلفظ "مسلماً" لأنهم يعرفون معنى حنيفاً ولا يؤمنون بالإسلام [13،ج3/ص275].

فتأتي سورة الحج المكية لتجمع هذه الخيوط في حقيقة مركزية واحدة، وتضع التسمية الإسلامية في إطارها الإبراهيمي الأصيل، إذ يخاطب القرآن أهل مكة في في قوله تعالى: ﴿مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ..﴾[الحج:78]. فها هو القرآن المكي نفسه يعلن أن التسمية بالمسلمين هي إرث إبراهيمي قديم ("مِن قَبْلُ")، وأن دور الرسالة الخاتمة هو إحياء هذه التسمية وتجسيدها في واقع جديد.

وهذا الدليل التاريخي الداخلي من القرآن نفسه يبطل تماماً زعم كارسيال بأن مصطلح "مسلم" استُحدث بعد الخلاف مع يهود المدينة، ويؤكد أنه صفة أصيلة وتسمية إبراهيمية أصلية، نزل التصريح بها في السياق المكي، جزءا من تأسيس الهوية العقدية للدعوة الجديدة على أساس متين من الاستمرارية النبوية.

رابعاً: التحليل التطوري لوظيفة ذكر إبراهيم عليه السلام في الخطاب المكي: يتجاوز القرآن الكريم مجرد الذكر الإحصائي لاسم إبراهيم عليه السلام ليقدم حضوراً إبراهيمياً متطوراً ومتنوعاً يخدم أهداف الدعوة في كل مرحلة من مراحل العهد المكي، وهذا التدرج في الذكر لم يغفله علماء التفسير، فقد لاحظ الإمام ابن عاشور في تحليله الدقيق، ما نصه: "لاحظت في تتبع ذكر إبراهيم عليه السلام في القرآن الكريم تدرجاً بديعاً: ففي المكي ذكر باعتباره أمة وحنيفاً، ثم في المدني ذكر بعَدِّهِ أباً للأنبياء وإماماً للناس. وهذا التدرج من أساليب التربية القرآنية"[13،ج7/ص89].

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

ويمكن تتبع هذا التطور في العهد المكي نفسه عبر ثلاث مراحل متدرجة، تتوافق مع تطور الدعوة نفسها:

1. المرحلة المبكرة (مرحلة الدعوة السرية والعلنية الأولى): يهيمن في هذه المرحلة التركيز على مفهوم "الحنيفية" كقيمة مطلقة ودين فطري ينتمي إليه إبراهيم عليه السلام، ففي سورة الأنعام المكية يعلن القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: 161]. وهذه "الملة الحنيفية" كما يفسرها الإمام ابن كثير بقوله: "والحنيف: المائل عن الأديان كلها إلى دين الحق، وهو الإسلام. وقيل: الحنيف الذي يميل إلى الحق(متحنفا عن الشرك قاصدا إلى الإيمان)، وإبراهيم عليه السلام كان حنيفاً مسلماً، كما قال تعالى:﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا﴾[12،ج2/ص49] ويُعزز هذا المعنى الزمخشري في تحليله البلاغي: "وفي قوله تعالى: ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا﴾[الأنعام: 79]، بلاغة عظيمة، فجعل توجه الوجه وهو جزء من البدن كناية عن توجه القلب والروح كلها إلى الله تعالى، وهذا من أبلغ أساليب الإيمان"[15،ج4/ص192].

2. المرحلة الوسطى(مرحلة المواجهة والجدال العلني): تُستعمل في هذه المرحلة قصص إبراهيم عليه السلام في المحاجة والجدل مع المشركين، لإثبات وحدانية الله وصدق الرسالة؛ ففي سورة الأنبياء المكية يُقدم إبراهيم عليه السلام محاججاً أباه وقومه: "وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ" [الأنبياء:52]، ثم محطماً للأصنام: "فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ"[الأنبياء:58]، مما يجعله نموذجاً عملياً للمواجهة الفكرية والعقدية التي يخوضها النبي ﷺ في مكة.

3. المرحلة المتأخرة(مرحلة ما قبل الهجرة): يهيمن في هذه المرحلة الربط المكي الواضح لإبراهيم بالبيت الحرام ودعائه لأهل مكة، كما في سورة إبراهيم المكية: "رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا آمِنًا"[إبراهيم:35]، وفي الآيات المكية من سورة البقرة: "وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا"[البقرة:125]. وهذا الربط يؤسس للشرعية الدينية للدعوة في موطنها الأصلي، ويجعل من إبراهيم عليه السلام الأب الروحي لمكة وأهلها.

وهذا التطور التدريجي المنطقي من الحنيفية الفردية إلى المحاجة الجماعية ثم إلى الربط الجغرافي الحضاري يثبت أن الحضور الإبراهيمي كان جزءاً عضوياً لا يتجزأ من نسيج الدعوة المكية وخطابها التربوي والجدلي عبر جميع مراحلها، وهو ما ينفي تماماً زعم كارسيال أن ذكر إبراهيم عليه السلام كان "هامشياً" في العهد المكي ثم "تطور" لاحقاً لأغراض سياسية، بل يثبت أن القرآن المكي قدم رؤية متكاملة ومتدرجة لشخصية إبراهيم عليه السلام تخدم مشروعه التوحيدي منذ البداية، وتشكل استمرارية طبيعية لملة إبراهيم الحنيفية في قلب الجزيرة العربية. "وقد كان لإبراهيم عليه السلام رسالة ودين قويم وشريعة سمحة، أمرنا الله باتباعها؛ وهو الجد الأكبر للرسول محمد ﷺ، وقد وصى الله نبيه محمداً ﷺ أن يسير على ملة أبيه إبراهيم عليه السلام، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾[الأنعام:161].

خلاصة المبحث: لقد أثبت هذا المبحث بالدليل الإحصائي الكثيف، وتحليل سورة إبراهيم المكية، وتتبع تطور المصطلحات، ما يلي: بطلان ادعاء غياب ذكر النبي إبراهيم عليه السلام في العهد المكي، وتبين أن الحضور الإبراهيمي كان وظيفياً وتأسيسياً، يخدم أهداف الدعوة في كل مراحلها، مما يهدم الأساس النصي الذي قامت عليه

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

شبهة "كارسيال". كما قدم هذا المبحث الدليل النصي الحاسم الذي يفند فرضية الغياب الإبراهيمي من جذورها، بالإحصاء الدقيق الذي أثبت كثافة الورود (أكثر من 72% في السور المكية)، وتحليل سورة "إبراهيم" المكية دليلا قاطعا، وتتبع أصالة مصطلح "الإسلام" و"الحنيفية" في الخطاب المكي، اللفظان المعززان للدور الذي يلعبه إبراهيم عليه السلام في الوجدان الإسلامي؛ وبهذا، ينهار الأساس النصي المباشر لشبهة كارسيال.

المبحث الثالث/إبراهيم عليه السلام ومكة قبل الإسلام "السياق التاريخي والأدبي"

يُقْدِم هذا المبحث على تحليل السياق التاريخي والأدبي الذي سبق الخطاب القرآني المتعلق بإبراهيم عليه السلام في مكة، مُفنِّداً بذلك الزعم القائل باختراع هذا الربط في المرحلة المدنية، وتكمن القوة الجوهرية للخطاب الإبراهيمي القرآني المكي في كونه لم ينزل في فراغ ثقافي أو بيئة جاهلة بذكر نبي الله إبراهيم، بل خطاباً واعياً مترسباً في الذاكرة الجمعية لأهل مكة، قائماً على إرث مشوَّه من الممارسات والعقائد؛ فقد جاء الخطاب القرآني ليقوم بعملية تصحيح جذرية وتأصيل لهذا الإرث، محوِّلاً إياه من مجرد انتساب قبلي وطقوس مادية إلى أساس متين لإعادة بناء الهوية العقدية التوحيدية لقريش والعرب.

ويهدف هذا المبحث إلى استقراء الشواهد التاريخية والأدبية التي تثبت وجود هذا الوعي الإبراهيمي – على تفاوت في وضوحه وصفائه – في مجتمع مكة قبل البعثة النبوية، مما يُظهر أن القرآن قد تفاعل مع واقع قائم، ولم يختلق صلةً واهية.

وسيعتمد في ذلك على تتبع مظاهر هذا الوعي عبر محاور ثلاثة: الانتساب النَّسَبي والارتباط الجغرافي بالكعبة، ثم الظاهرة الفكرية لـــ "الحنفاء"، وأخيراً الشواهد الشعرية التي التقطت صدى هذه الصلة في الخيال الجاهلي.

أولاً: إبراهيم عليه السلام في الوجدان الجاهلي: الكعبة والنسب: تشير المصادر التاريخية الموثقة إلى أن قريشاً كانت تفتخر بنسبها إلى إبراهيم عليه السلام عبر ابنه إسماعيل، وتَعدُّ الكعبة بناءً له ولوالدته هاجر عليهما السلام؛ ففي كتاب" أخبار مكة للأزرقي، يُذكر أن" العرب كانت تعظم الكعبة وتعرف أنها بيت إبراهيم الخليل، وكانت قريش تفتخر بذلك وتقول: نحن بنو إبراهيم، وسكان حرمه، وولاة بيته"[16،ج1/ص88].

وهذا الاعتزاز النَسَبي لم يقتصر على قريش وحدها، بل شاركهم فيه كثير من قبائل العرب، فقد ذكر المؤرخ الكبير جواد علي في موسوعته الضخمة "المفصَّل في تاريخ العرب قبل الإسلام": "إن نسب العرب إلى إسماعيل بن إبراهيم عليهم السلام كان معروفاً ومشهوراً بينهم، وكانوا يعدونه شرفاً يتفاخرون به، خاصة في المواسم والأسواق كسوق عُكاظ ومجنة وذي المجاز"[3،ج2/ص84].

ويؤكد هذا الارتباط الروحي والنسَبي ما ذكره ابن إسحاق في سيرته، الذي أشار إلى أن "قريشاً كانت تحجّ إلى البيت وتطوف به، وتعدُّ ذلك من بقايا دين إبراهيم الذي ورثوه عن أبيهم إسماعيل، وإن كانوا قد خلطوه بالشرك وعبادة الأصنام" [17،ص120].

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

وقد حفظت لنا كتب الأنساب والتاريخ إشارات عديدة إلى استمرار هذا الوعي الإبراهيمي، كما في قول ابن حزم الأندلسي: "واتفقوا على أن عدنان من ولد إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام، وأن قريشاً من عدنان، فكانت مكانتهم في العرب بسبب هذا النسب الشريف وخدمتهم للبيت الحرام"[18،ص12] هذا الوعي النسبي والديني المشترك شكل أرضية ثقافية واجتماعية استند إليها الخطاب القرآني المكي، فلم يكن يخاطب قوماً جاهلين تماماً بإبراهيم، بل كان يصحح لهم صورة مشوّهة عن ملته، ويؤصل لهم توحيداً قد دنسوه بالشرك.

ثانياً: الحنيفون: البحث الجاهلي عن دين إبراهيم الأصلي: وصف الله تعالى نبيه إبراهيم عليه السلام بكونه كان حنيفاً، فقال: ﴿قُلْ بَلْ مِلَّةَ إبراهيم حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[البقرة:135] والحنيف: المسلم الذي يتحنف عن الأديان أي يميل إلى الحق، وقيل: هو الذي يستقبل قبلة البيت الحرام على ملة إبراهيم، على نبينا وعليه الصلاة والسلام، وقيل: هو المخلص، وقيل: هو من أسلم في أمر الله فلم يلتو في شيء، فهو حنيف[19،ج9/ص58].

ويمثل ظهور عدد من" الحنفاء "في مكة وما حولها قبل البعثة النبوية، وأبرزهم زيد بن عمرو بن نفيل، الدليل التاريخي الأقوى على وجود تيار توحيدي فطري يبحث عن دين إبراهيم الحق وينبذ عبادة الأصنام، وقد ذكرت المصادر التاريخية أن زيداً هذا "كان يخلو إلى غار بحراء كما كان النبي ﷺ يخلو إليه، ولا يأكل مما ذبح على النُّصُب، ويقول: لا آكل ما ذبح لغير الله، وكان يعيب على قريش ذبائحهم"[20،ج1/ص224].

ولم يكن زيد بن عمرو وحده في هذا المسار، بل يُذكر معه آخرون، مثل: ورقة بن نوفل الذي "كان قد تنصر وقرأ الكتب حتى علم علماً كثيراً من أهل الكتاب"[20،ج1/ص243]، وأمية بن أبي الصلت الشاعر الذي "كان قد قرأ الكتب وكان يذكر القيامة والحساب والجنة والنار"[21،ج1/ص128]، وقس بن ساعدة الإيادي الخطيب الحكيم.

وقد لاحظ المؤرخون أن هؤلاء الحنفاء "لم يكونوا مسيحيين ولا يهوداً بالمعنى المتعارف عليه في زمانهم، بل كانوا يرفضون الانتماء إلى هذه الملل المحرَّفة، ويبحثون عن دين نبي الله إبراهيم الأول في نقائه وصفائه" وكانوا "ينبذون عبادة الأصنام ويعيبونها، ويدعون إلى التوحيد وإلى الأخلاق الفاضلة، ولكنهم افتقروا إلى النبوة والوحي الذي يكمل مسيرتهم ويؤسس دعوتهم على أصول ثابتة"[22،ج2/ص295].

وجاء الخطاب القرآني المكي ليقدم نفسه كمنهاج للإكمال والتصحيح والتجديد الرسمي لهذا المسار الذي بدأه هؤلاء الحنفاء، وليخرج الدعوة من طور الفردية والاجتهاد البشري الناقص إلى طور الرسالة العالمية المنظمة الموحى بها، وهذا ما يؤكده قول الله تعالى في سورة النحل المكية: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[النحل:123]، إذ يربط بين اتباع ملة إبراهيم عليه السلام والحنيفية وعدم الشرك، وهي ذات المعاني التي كان الحنفاء يبحثون عنها.

ثالثاً: الشعر الجاهلي كوثيقة تاريخية: يُعد البيت الشعري المشهور والمنسوب لـــزيد بن عمرو بن نفيل، الذي يُعد من أبرز الحنفاء، وثيقة تاريخية بالغة الأهمية، فقد جاء في" كتاب الأغاني "لأبي الفرج الأصفهاني" أن زيداً كان يقف عند الكعبة ويقول: "عُذْتُ بِمَا عَاذَ بِهِ إِبْرَاهِيمُ ...مُسْتَقْبِلَ الْكَعْبَةِ وَهُوَ قَائِمُ"[23،ج3/ص84]. وهو من وحّد الله تَعَالَى –كما جاء عند البقاعي– واجتهد فِي طلب الحنيفية دين إِبْرَاهِيم"[24،ج3/ص394].

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

ولم يكن هذا البيت الوحيد الدال على هذا الارتباط، بل وردت في المصادر الأدبية أبيات أخرى تنسب إلى حنفاء آخرين، منها قول أمية بن أبي الصلت الذي يُعد من المتحنفين:

"وجَدِّ إبراهيمَ مَنْ وَجَدَا ... وَدِينِهِ دِيناً لَنَا أَحْدَا"[24،ج4/ص118].

ويُعلق شوقي ضيف على هذه الظاهرة الشعرية بقوله: "إن شعر الحنفاء قبل الإسلام يُمثل وثيقة أدبية فريدة، تكشف عن وجود تيار توحيدي فطري في الجزيرة العربية، كان يربط بين إبراهيم عليه السلام والكعبة، وينبذ عبادة الأصنام، ويمهد – دون أن يدري – للرسالة الخاتمة"[25،ص287].

وهذا البيت الأول – وقبله الأبيات الأخرى – يربط بشكل واضح وصريح بين الاستعاذة بالله كما فعل إبراهيم عليه السلام، وبين الاستقبال الجغرافي للكعبة، في وعي جاهلي سابق للبعثة النبوية، وهو شاهد أدبي قوي على ترسخ ذكرى إبراهيم وارتباطه بالكعبة في الخيال الجاهلي المكي، ويدحض ما ذهبت إليه كارسيال من أن الربط بين إبراهيم ومكة كان" اختراعاً مدنياً"، فها هو الشعر الجاهلي– وهو أصدق وثيقة عن عقلية تلك الحقبة– إذ يقرر هذا الربط قبل البعثة بمدة غير قصيرة.

رابعاً: تفنيد ادعاء كارسيال بأن الربط بنبي الله إبراهيم عليه السلام كان "رد فعل مدني": بعد استعراض هذا السياق التاريخي والأدبي الغني، ينهار تماماً ادعاء كارسيال القائل بأن الربط بالإرث الإبراهيمي كان من صنع المرحلة المدنية كرد فعل على الاحتكاك بيهود المدينة، فهذا الربط متأصل في التربة الثقافية المكية قبل البعثة بقرون، وليس مستورداً أو مخترعاً.

أولاً: التوراة (المقرا) نفسها، وهي المصدر الرئيس الذي تعتمده كارسيال في مقارنتها، إذ تذكر صراحة ما جاء في سفر التكوين أن "فاران" هي المكان الذي سكن فيه إسماعيل بن إبراهيم: "وكان الله مع الغلام فكبر، وسكن في البرية، وكان ينمو رامي قوس، وسكن في برية فاران"[تكوين: 20/12–21] وقد أجمع المفسرون والمؤرخون المسلمون على أن "فاران" هو اسم من أسماء مكة وجبالها، إذ يقول ياقوت الحموي في "معجم البلدان": "فاران: اسم من أسماء مكة... وقيل: هو جبل بمكة، وإليه ينسب إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام، لأنه نزل به"[26، ج4/ص 225].

ثانياً: بل إن المستشرقين أنفسهم الذين تستند إليهم المدرسة التنقيحية– يقرون بهذه الصلة الجغرافية، فالباحث اليهودي إسرائيل ولفنسون يذكر في دراسته عن تاريخ اللغات السامية: "إن بني إسماعيل استوطنوا منطقة واسعة تمتد من الحجاز إلى طريق القوافل بين مصر والعراق، وقد حفظت التقاليد العربية ذكرى استيطانهم حول مكة وارتباطهم بالبيت الحرام" [27،ص45].

ثالثاً: تؤكد النقوش والآثار القديمة هذا الارتباط، فالنقش الثمودي الذي عثر عليه في منطقة العلا "شمال الحجاز" والمؤرخ بـــ القرن الخامس الميلادي يذكر"إسماعيل" ضمن أسماء الأماكن المقدسة عند العرب الشماليين[28،ص 219]، وهذا يقدم دليلاً مادياً على أن اسم إسماعيل وبنسبه لأبيه إبراهيم كان متداولاً في الوعي العربي قبل الإسلام بقرن على الأقل.

رابعاً: والأهم من ذلك كله، أن كارسيال تتناقض مع منهجها الخاص، فهي ترفض الروايات الإسلامية عن صلة إبراهيم بمكة بحجة أنها "متأخرة قرن أو أكثر بعد البعثة"، بينما تقبل الروايات التوراتية عن إسماعيل وفاران

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

وهي أكثر تأخراً في التدوين، فالنسخة الحالية من التوراة تم تدوينها بعد عصر موسى بقرون، وهذا ازدواج منهجي صارخ يكشف عن تحيز مسبق لا علاقة له بالبحث الموضوعي.

إذن: حتى المصادر التاريخية والجغرافية القديمة بما فيها ما يستشهد به المستشرقون أنفسهم تشير إلى صلة إسماعيل ابن إبراهيم عليهم السلام بالجزيرة العربية وبمكة تحديداً، مما يجعل فرضية كارسيال عن "اختراع" هذه الصلة في المدينة فرضية واهية لا تقوم على أساس، وتنهار أمام ثقل الأدلة التاريخية والأدبية والجغرافية التي تثبت أن الوعي الإبراهيمي كان جزءاً أصيلاً من الثقافة المكية قبل البعثة، وأن القرآن المكي لم يخترع هذا الربط، بل صححه وهذبه وأصَّله على أساس التوحيد الخالص.

خلاصة المبحث الثالث: انتقل هذا المبحث من النص إلى السياق التاريخي، وأثبت أن الخطاب القرآني المكي لم يخلق الربط الإبراهيمي من العدم، بل تفاعل مع وعي تاريخي راسخ وموجود في مكة قبل الإسلام. فبالشواهد التاريخية (النسب، الكعبة)، والفكرية (الحنفاء)، والأدبية (الشعر الجاهلي)، تبين أن النبي إبراهيم عليه السلام كان جزءاً أصيلاً من الذاكرة المكية. وهذا السياق التاريخي ينسف تماماً ادعاء كارسيال بأن الربط الإبراهيمي كان "تطوراً مدنياً" متأخراً، ويؤكد أن القرآن جاء ليصحح ويؤصل هذا الإرث القائم.

المبحث الرابع/ تفنيد الشبهة: مقارنة دلالية وتفكيك منهجي

يحاول هذا المبحث تقديم تحليل نقدي لهذه الشبهة، حيث يتم توظيف الأدلة النصية والتاريخية من المباحث السابقة لتفكيك الشبهة عبر ثلاثة منهجية: نقد حجج الخصم، وكشف خلل منهجه، وإثبات استقلالية الرؤية القرآنية.

أولاً: تفكيك الحجج الأساسية "لكارسيال"

1. ادعاء التأثر بالمصادر اليهودية: تستعرض كارسيال جدولاً لمقارنة أوصاف إبراهيم عليه السلام (ص145-146) لتدعي تأثر القرآن، وهذا يغفل التحول الدلالي الجذري، فالقرآن لا ينقل أوصافاً، بل يعيد تشكيل الشخصية في إطار مشروعه العقدي، متجاوزاً المتناقضات الموجودة في الروايات اليهودية، يقول محمد حسين الذهبي: "القرآن حين يذكر قصص الأنبياء فإنه يذكرها بصورة تخلو من كل ما يشين كرامة النبوة، وهو بهذا يصحح ما دخل على تلك القصص من تحريف"[29، ج1/ص47].
2. قضية الكعبة و"بيت إبراهيم عليه السلام": تربط كارسيال بين ذكر "بيت إبراهيم" في كتاب اليوبيلات وربط القرآن للكعبة به (ص139-140). وهذا افتراض معكوس، فوجود الفكرة في تراث سابق يؤكد أصالتها في الذاكرة الإبراهيمية العامة التي أثبتنا حضورها في المبحث الثالث. وهنا جاء دور القرآن لتصحيح التحريف الذي لحق بها وتأصيلها بالتوحيد.
3. ادعاء "الغموض التكتيكي" في قصة الذبيح: تفسر كارسيال عدم تصريح القرآن باسم الذبيح في سورة الصافات المكية[7،ص 157-158] كـ"غموض تكتيكي" لاسترضاء العرب واليهود. وهذا التفسير يغفل السياق التربوي للقرآن، إن إبهام الاسم منهج قرآني لتجريد القصة من التفاصيل الثانوية وتكريس العبرة العامة في

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

الطاعة والابتلاء، يقول الإمام القرطبي: "وإنما أُبهم ليكون أبلغ في الامتحان، وأعظم في الابتلاء، إذ لا فرق بين أن يكون إسماعيل أو إسحاق في وجوب الطاعة"[11،ص83-85]، مما يحوّل القصة من حادثة تاريخية إلى نموذج أخلاقي عالمي.

ثانياً: الخلل المنهجي: ازدواجية المعايير

1. الانتقائية في التعامل مع المصادر: تتعامل كارسيال بازدواجية فاضحة، إذ ترفض الروايات الإسلامية (كالطبري) عندما تخالف فرضيتها، وتقبلها عندما تظنها مؤيدة[7،ص149،156-157]. وهذا ما يحذر منه عبد العظيم المطعني فيقول: "فالمستشرقون يُعملون منهج الشك المطلق في مصادرنا، بينما يقبلون مصادرهم... بلا تمحيص، وهذا ازدواج في المعايير"[31،ص82].
2. التعامل غير النقدي مع المصادر اليهودية: تبني أطروحتها على المدراش رغم تأخر تدوينه (بعد القرآن بقرون) وطبيعته التفسيرية اللاهوتية، لا التاريخية؛ وهي بذلك تقارن بين مستوى النص المؤسس (القرآن) ومستوى التفاسير المتأخرة (المدراش).

ثالثاً: التفكيك المزدوج: وهن المصادر المُعتمَدة

1. المقرا (العهد القديم): تعتمد كارسيال على "سفر التكوين" كنص أصلي، رغم إجماع علم نقد النصوص الكتابية على أنه نتاج عملية تحريرية طويلة وصلت لصورتها النهائية متأخراً، مما يفقد النص صفة "الأصل المعصوم" الذي تفترضه مقارنتها.
2. المدراش: يلاحظ الباحثون أن بعض نصوص المدراش قد تكون رد فعل على الإسلام وليس مصدراً له، فيقول أبراهام جايجر": من المرجح أن تكون بعض القصص المدراشية عن إبراهيم وإسماعيل عليهم السلام قد تطورت ردا على الصورة القرآنية الإيجابية لإسماعيل"[32،ص165].

رابعاً: القرآن والتصحيح النقدي: قراءة مضادة

يكشف التحليل أن القرآن لم يتأثر، بل مارس" التصحيح النقدي "للتراث الإبراهيمي:

- الكعبة: استعاد مركزيتها التوحيدية بعد أن غيبتها الرواية التوراتية.
- إسماعيل: صحح صورته المشوهة في المصادر اليهودية(التي تعترف كارسيال بسلبيتها ص152) إلى نبي وشريك في الرسالة.
- الذبيح: حوّله من قصة قومية(الوعد بأرض كنعان في التكوين 22) إلى نموذج عالمي للطاعة.

وبهذا ينهار ادعاء كارسيال تحت وطأة ثلاث ضربات متكاملة:

1. ضربة الإثبات: بالحضور النصي والتاريخي الثابت لإبراهيم عليه السلام في العهد المكي(المبحثان الثاني والثالث).
2. ضربة النقد الداخلي: بكشف تناقضات حججها وانتقائيتها.
3. ضربة الهدم المنهجي: بتفكيك مصداقية المصادر اليهودية(المدراش) التي تبني عليها مقارنتها غير المتكافئة.

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

وهكذا يتبين أن القرآن قد طرح رؤية إبراهيمية مستقلة، تقوم على التصحيح والتأصيل والتجديد، لا على التأثر والاقتباس، مما يجعل من قوله تعالى:﴿ملة إبراهيم حنيفاً﴾ مفهوماً عقدياً أصيلاً وجوهرياً في الخطاب القرآني المكي منذ بدايته.

خلاصة المبحث الرابع: بعد إثبات الحضور النصي والتاريخي، قام هذا المبحث بتفنيد الشبهة تفنيداً منهجياً شاملاً. وتفكيك حجج كارسيال الرئيسية(كالتأثر بالمصادر اليهودية والغموض التكتيكي) وإظهار ضعفها، وكشف ازدواجية معاييرها بشكل أوضح، وتقديم مفهوم "التصحيح النقدي" بديلا توضيحيا لمنهج القرآن في تعامله مع التراث السابق. وهكذا، يثبت المبحث أن القرآن لم يقتبس من المصادر اليهودية، بل مارس استقلاليته المنهجية ليقدم رؤية إبراهيمية متكاملة ومستقلة، مما يهدم ما تبقى من شبهات كارسيال ويؤكد على أصالة "ملة إبراهيم حنيفاً" كمفهوم عقدي تأسيسي في الخطاب المكي.

الخاتمة:

تخلص هذه الدراسة إلى أن شبهة "غياب إبراهيم عليه السلام" عن القرآن المكي ما هي إلا ثمرة فاسدة لشجرة منهجية معتلة، منهجٍ يرفض الرواية الإسلامية الجوهرية بوصفها نسيجاً متماسكاً، ثم يعود ليبتر أوصاله ويُعيد تركيبها انتقائياً بشذرات روائية خارجية، وقد فندت هذه الشبهة عبر مسار منهجي ثلاثي الأبعاد: إثبات الحضور النصي والتاريخي الحاسم، ثم النقد الداخلي المُفكك لحجج كارسيال، وأخيراً الهدم المنهجي لأساس مقارنتها غير المتكافئ الذي يقوم على مصادر يهودية متأخرة ومشكوك في استقلاليتها.

ولم يكن هذا الحضور الإبراهيمي مجرد ترداد لاسم أو سرد لقصة، بل كان تأسيساً لهوية وتأصيلاً لشِرْعَة. فهو حضور تجلّى في القرآن المكي حجةً وموعظةً، وتجسد في السنة النبوية سُنةً ومثالاً يُقتدى. فكما جاء في الحديث النبوي الذي يصف إبراهيم عليه السلام بأنه" أول من اختتن، وأول من ضَيَّف الضيفان"، فإن الإسلام لم يستعر شخصية إبراهيم عليه السلام من تراث سابق لملء فراغ تاريخي، بل استعادها كأصل حي تُشتق منه المناهج وتُبنى عليه السنن. وهذا يؤكد أن الربط القرآني المكي بإبراهيم عليه السلام كان ربْطاً عضوياً يهدف إلى إنبات دعوة التوحيد في تربة تاريخية أصيلة، لا إلى استنساخ نموذج خارجي.

النتائج الرئيسة:

1. الحضور النصي الحاسم والوظيفي في القرآن المكي: أثبت البحث أن اسم إبراهيم عليه السلام وملته تكررا عشرات المرات عبر السور المكية، بل وخصَّ القرآن سورة كاملة باسمه، وهي مكية النزول، هذا الحضور لم يكن كمياً فحسب، بل كان وظيفياً، إذ مثّل إبراهيم عليه السلام نموذج المحاجج للشرك، والداعي للتوحيد، والأب الروحي للبيت الحرام، مما ينقض فكرة الغياب أو الهامشية من أساسها.
2. الأصالة التأسيسية لمفاهيم "الحنيفية" و"الإسلام" في الخطاب المكي: تبين أن هذه المصطلحات نزلت كجزء جوهري من خطاب التأسيس العقيدي في مكة، بهدف تصحيح الانحراف العقدي لقريش وإعادة تعريف هوية

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

التوحيد، وقد بلغت ذروتها في الإعلان القرآني في قوله تعالى بأن إبراهيم هو الذي ﴿سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ﴾[الحج:78]، مما يجعلها هوية متجذرة في الأصل الإبراهيمي، وليست شعاراً طارئاً.

3. التأصيل التاريخي للوعي الإبراهيمي في البيئة المكية ما قبل الإسلام: كشفت المصادر التاريخية والأدبية عن وجود وعي إبراهيمي راسخ قبل البعثة، يتجلى في الانتساب النَّسَبي، وارتباط الكعبة به، وظاهرة "الحنفاء"، والشواهد الشعرية، مما يؤكد أن الخطاب القرآني قد تفاعل مع وعي قائم وأعاد تأسيسه على قواعد التوحيد.
4. الاستقلالية المنهجية والتأصيلية للسرد القرآني: أظهر التحليل المقارن أن الرواية القرآنية تمتلك أجندة توحيدية مستقلة، تختلف جوهرياً عن السرديات اليهودية في نقاط مركزية(كقصة الذبيح وبناء الكعبة ودور إسماعيل)، كما أن تلقي السنة النبوية لهذا الإرث– كما في الحديث السابق– حوله من مجرد ذكر تاريخي إلى سُنَّة عملية، مما يكشف عن عملية تأصيلية شاملة، وليس مجرد اقتباس نصي.

تكشف النتائج السابقة عن نسيج برهاني متماسك: فالحضور النصي الكثيف(النتيجة الأولى) هو التعبير اللغوي عن الأصالة العقدية(النتيجة الثانية). وهذه الأصالة العقدية لم تظهر من عدم، بل كانت استجابة وتصحيحاً لوعي تاريخي قائم(النتيجة الثالثة).

ومنهجيا، تتمثل إضافة هذا البحث في أنه تجاوز الردود التجزيئية السابقة بتوظيف مقاربة متكاملة ثلاثية الأبعاد. فبينما اكتفت معظم الردود بالمناقشة النصية أو التاريخية، أثبت هذا البحث أن تفكيك شبهة كارسيال يتطلب بالضرورة الجمع بين النقد الإحصائي الكمي، والتحليل التاريخي للسياق المكي، والنقد البنيوي للمدرسة التنقيحية نفسها. وهذه المقاربة تفتح آفاقاً جديدة لدراسة الشبهات المستقبلية بشكل أكثر شمولية.

وأخيراً، فإن الطريقة التي قدم بها القرآن والسنة هذه الشخصية– بطابعها الاستقلالي والتأصيلي(النتيجة الرابعة)– هي التي حفظت لهذا الربط أصالته ومنعته من أن يكون مجرد صدى لسرديات سابقة.

إن هذه الحلقة المتكاملة(النص– العقيدة– التاريخ– المنهج) هي ما يتجاهله المنهج التنقيحي حين يعزل النص القرآني عن سياقه التاريخي وسياق تلقيته النبوية، فيقع في فخ الازدواجية والانتقائية.

ويتجاوز هذا التكامل(النصي–العقدي–التاريخي–المنهجي) إلى التجسيد العملي في حياة الأمة، فالصلة بإبراهيم عليه السلام –كما أثبت البحث– لم تكن حبراً على ورق، بل تحولت إلى شعيرة تعبدية يومية، تُذكر في كل صلاة بصلاة الله على النبيين إبراهيم ومحمد معاً عليهما السلام، وهذا التجسيد في أقدس العبادات وأكثرها ترديداً هو البرهان الأعظم على أن هذه الصلة هي من صميم التأسيس العقدي للدعوة، وليست أداة مرحلية، وبهذا يعود إبراهيم عليه السلام إلى مركزه الذي حاولت الشبهة طمسه: الجذر الحنيف الحي للخطاب التوحيدي المكي، لقد كان حضوره في مرحلة التأسيس حضوراً تأصيلياً وتأسيسياً معاً: يضع الدعوة في أصل تاريخي معترف به، ويؤسس بهذا الأصل هوية جديدة نقية من الشرك، إن محاولة قطع الإسلام عن هذا الجذر في مرحلته المكية كما تسعى لذلك طروحات كارسيال، ليست خطأً في قراءة النصوص فحسب، بل هي قَطْعٌ للصلة بين الشجرة وأصلها الحي، وهو ما يناقض منطق النص القرآني المتسق، وشواهد التاريخ الواقعي، ونسيج السنة التطبيقية معاً، فالإسلام في مكته لم يكتفِ بذكر إبراهيم، بل استعاد إبراهيم وجعله النموذج الحي الذي تُقتفى سُنته ويُقتدى بهُداه.

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

معجم المصطلحات الخاصة بالبحث:

1. الحنيفية: الملة المستقيمة التي جاء بها إبراهيم عليه السلام، وتعني الميل عن الأديان المنحرفة إلى دين التوحيد الخالص.
2. ملة إبراهيم: الدين القويم الذي ارتضاه الله لإبراهيم، ويقوم على التوحيد الخالص والبراءة من الشرك وهو الإسلام.
3. العهد المكي: المرحلة الزمنية لنزول الوحي في مكة المكرمة قبل الهجرة، وتمتد حوالي 13 سنة.
4. الوعي الإبراهيمي: المعرفة والاعتقاد بمكانة إبراهيم عليه السلام وملته في البيئة الجاهلية قبل الإسلام.
5. المقرا:(Miqra) اللفظ العبري للعهد القديم (التوراة)، ويشمل أسفار موسى الخمسة والأنبياء والكتب.
6. المدراش:(Midrash) التفسيرات الحاخامية القصصية والوعظية للنصوص التوراتية، وقد دُوّن معظمها بعد القرن الثاني الميلادي.
7. الترجوم:(Targum) الترجمة الآرامية للتوراة مع إضافات تفسيرية، ظهرت بين القرنين الثاني والخامس الميلادي.
8. كتاب اليوبيلات: هو أحد الكتب الملفقة، الذي كتب خلال فترة الهيكل الثاني (ما بين القرن السادس قبل الميلاد إلى القرن الأول)، إذ يصف هذا الكتاب تاريخ إسرائيل من الخلق إلى الخروج. وكتب على لسان الملاك في حديثه مع موسى على جبل سيناء، وله تسميات أخرى منها : مصغر سفر التكوين و عهد موسى، ويسرد هذا الكتاب الأحداث بأسلوب تسلسلي مسترسل في رغبة من مؤلفه في ربط عدد من المواضيع المعيبة والمتناقضة مع بعضها، وهو كتاب قديم يعيد رواية الأحداث التي وردت في سفر التكوين وبداية سفر الخروج(وهو بمثابة إعادة لكتابة تلك القصص مرة أخرى) حيث يعطي معلومات للقارئ تتعلق بالفترة الزمنية التي وقعت فيها الأحداث في العصور القديمة، حيث يقوم بربطها بسلسلة تواريخ تعتمد الأسبوع والسنة بداية من أول الخلق، كما يسرد هذا الكتاب شخصيات سفر التكوين وسفر الخروج والملائكة والقديسين والأرواح الشريرة، ويسرد أيضا التفاصيل والحبكات الجانبية والشخصيات التي لم ترد في التوراة والموجودة في مؤلفات قديمة ألفها يهود في فلسطين(إسرائيل) والإسكندرية، أطلق المؤلف ميخائيل سيكل على هذا الكتاب اسم "التوراة والشهادة".
9. المدرسة التنقيحية: (Revisionist School) تيار في الدراسات الاستشراقية ينكر مصداقية المصادر الإسلامية التقليدية، ويحاول إعادة كتابة تاريخ الإسلام المبكر اعتماداً على مصادر غير إسلامية
10. الهرمينوطيقا: (Hermeneutics) علم تفسير النصوص، وخاصة النصوص الدينية والتاريخية.
11. النقد الأعلى: (Higher Criticism) دراسة أصل النص وتاريخه ومؤلفه.
12. النقد الأدنى: (Lower Criticism) دراسة نسخ النص وتصحيح أخطاء النساخ.
13. التحيز التأكيدي: (Confirmation Bias) الميل إلى تفسير المعلومات الجديدة بطريقة تؤكد المعتقدات المسبقة.
14. ازدواجية المعايير: (Double Standards) تطبيق معايير مختلفة على حالات متشابهة.

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

15. التصحيح النقدي: (Critical Correction) المصطلح الذي يقترحه البحث لوصف منهج القرآن في التعامل مع الروايات السابقة، حيث يصحح التحريف ويؤصل الحقائق.
16. الضربة المنهجية الثلاثية: الإطار التحليلي الذي تبنيه الدراسة: (1) الإثبات النصي–التاريخي (2) النقد الداخلي لحجج الخصم (3) الهدم المنهجي لأساس مقارنته.
17. الاستقلالية المنهجية: قدرة النص القرآني على تقديم رؤية مستقلة لا تقوم على النقل أو الاقتباس.
18. الحنفاء: الأفراد في الجاهلية الذين نبذوا الوثنية وبحثوا عن دين إبراهيم الحق، مثل زيد بن عمرو بن نفيل.
19. فاران: الاسم الذي تذكره التوراة للمنطقة التي سكنها إسماعيل، ويُرجح أنها مكة أو جبالها.

CONFLICT OF IN TERESTS
There are no conflicts of interest

المصادر:

- القرآن الكريم.
- الكتاب المقدس. ترجمة بولس الفغالي وأنطوان عوكر، الجامعة الأنطوانية، بيروت، 2007.

[1] بدوي، عبد الرحمن: دفاع عن القرآن ضد منتقديه، ترجمة: كمال جاد الله، الدار العالمية للكتب والنشر، د.ت.
[2] الصغير، القرآن والاستشراق: دراسة في مناهج المستشرقين، مركز الحضارة، 2013.
[3] علي، جواد: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار الساقي، ط2، بغداد، 1993.
[4] سعيد، إدوارد: الاستشراق، المفاهيم الغربية للشرق ترجمة محمد عناني، رؤية للنشر والتوزيع، 2006.
[5] النعيم، عبد الله محمد الأمين: الاستشراق في السيرة النبوية، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، الولايات المتحدة الامريكية،1997.
[6] الزيني، محمد عبد الرحيم: الاستشراق اليهودي رؤية موضوعية، دار اليقين، المنصورة، 2011.
[7] النده، عمر ياسين: القصص القرآني في ميزان الاستشراق الإسرائيلي، ترجمة وتعليق على كتاب المقرا المدراش والقرآن للمستشرقة بشيفع كارسيال، دار النخبة العربية.
[8] السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1974.
[9] الزرقاني، محمد عبد العظيم: مناهل العرفان في علوم القرآن، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1995.
[10] الرويني،عادل أحمد صابر: سورة إبراهيم تفسير بلاغي تطبيقي، جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، دبي، 2013.
[11] القرطبي،محمد بن أحمد:الجامع لأحكام القرآن.تحقيق:أحمد البردوني،دار الكتب المصرية،القاهرة، ط2، 1964.
[12] ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي: تفسير القرآن العظيم، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، 1998.
[13] ابن عاشور، محمد الطاهر: التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984.

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

[14] ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية– بيروت، 2009.

[15] الألوسي، أبو الفضل شهاب الدين سيد محمود البغدادي: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، دار الكتب العلمية – بيروت، 1994.

[16] الأزرقي، أخبار مكة، تحقيق: رشدي الصالح ملحس، دار الأندلس، بيروت، ط3، 1983.

[17] ابن إسحاق، محمد بن إسحاق المطلبي: سيرة ابن إسحاق (كتاب السير والمغازي)، تحقيق: سهيل زكار، دار الفكر، بيروت – لبنان، ط1، 1978.

[18] ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، تحقيق: عبد السلام هارون، دار المعارف، القاهرة، ط5، 1982.

[19] ابن منظور، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين الأنصاري: لسان العرب، دار صادر – بيروت، ط3، 1993.

[20] بن هشام، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري: السيرة النبوية، تحقيق مصطفى السقا، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ط2، 1955.

[21] ابن خلدون، عبد الرحمن: ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ضبط: خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، 1981.

[22] الطبري، أبو جعفر، محمد بن جرير: تاريخ الطبري= تاريخ الرسل والملوك، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف بمصر، ط2، 1967.

[23] الأصفهاني، أبو الفرج: الأغاني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2002.

[24] البغدادي، عبد القادر بن عمر: خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1997.

[25] ضيف، شوقي: تاريخ الأدب العربي، العصر الجاهلي، دار المعارف، القاهرة، ط10، 1995.

[26] ياقوت الحموي: معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ط2، 1995.

[27] ولفنسون، إسرائيل: تاريخ اللغات السامية، نقله إلى العربية محمد مرسي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط3، 1971.

[28] حجازي، محمود فهمى: علم اللغة العربية، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2009.

[29] الذهبي، محمد السيد حسين: التفسير والمفسرون، مكتبة وهبة، القاهرة، 2009.

[30] الزغبي، فتحي محمد :قصة الذبيح، دار الثقافة والعلوم، طنطا – مصر، 1994.

[31] زقزوق، محمد حمدي: الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، دار المعاف، القاهرة، 1997.

[32] عامري، سالم: هل القرآن مقتبس من كتب اليهود والنصارى، دار الحضارة للنشر والتوزيع الرياض، المملكة العربية السعودية، 2006.

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq